المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN 2790-1254
العدد13 حزيران 2024
No.13 June 2024

الربط النصي بـ (لما) في القصص القرآني

م . د . شيماء رشيد حمود
جامعة ذي قار / كلية الآداب
shaimaarasheed@utq.edu.iq

المستخلص:

يعد البحث في الروابط النصية عموما ، الشكلية منها والمعنوية ، منهلا ثرًا يتكئ عليه الباحث في فهم النصوص فهما عميقاً ، وتحليلاً خصباً ، حتى غدت الدراسات النصية لا تنفك عن الاعتماد على هذه الروابط . ولأنَّ البحث اللغوي يشهد تطوراً لافتاً، لتعدد النظريات والاتجاهات التي تهتم باللغة وانظمتها وخصائصها ، وبدوره أدى لتنوع الدراسات وغزارتها ، يسعى البحث في هذه الدراسة إلى التركيز على الربط النصي (لما) التي تعد إحدى الروابط النصية بشهادة علماء النص في العصر الحديث، والتي وجدنا لها مجالاً تطبيقياً لا يستهان به في النص القرآني عموماً وفي القصص القرآني خصوصاً وهي تؤدي هذه الوظيفة .

الكلمات المفتاحية: الربط النصي، القصص القرآني، اللسانيات.

Textual connection to (lamma) in Qur’anic stories

Shaimaa Rasheed Hmood
College of Arts-University of Thiqar
shaimaarasheed@utq.edu.iq

Abstract

Research into textual links in general, whether formal or moral, is consideredasource of wealth upon which the researcher can rely for a deep understanding of texts and a fertile analysis, to the extent that textual studies have ceased to rely on these links. Because linguistic research is witnessing a remarkable development, due to the multiplicity oftheories and trends concerned its systems, and its characteristics, and in turn has led to the diversity and abundance of studies, the research in this study seeks to focus on the textual connection (for what), which is one of the textual connections according to the testimony of textual scholars in the modern era, and for which we found It is a significant field of application in the Qur’anic text in general and in Quranic stories in particular, and it performs this function.

Keywords: textual connection, Quranic stories, linguistics.

المقدمة

تعددت النظريات والاتجاهات التي اهتمت باللغة ، وانظمتها وخصائصها ،وحاولت هذه النظريات تقديم تفسير واضح لمختلف الظواهر اللغوية من أجل خدمة اللغة ، فاللغة التي هي ظاهرة انسانية تتعلق بحياة الفرد والجماعة ،شهدت اهتماما متزايدا من الباحثين والدارسين ،ويتجلى ذلك في عدد من المناهج المقترحة لدراستها ، ومن احدث هذه المناهج :اللسانيات النصية ،وهو منهج يدرس النص دراسة شمولية ، تتجاوز حدود المفردات ،بل تتجاوز حدود الجملة ،حيث تعنى بدراسة النص دراسة متكاملة ،باعتباره البنية الكبرى للغة . ولسانيات النص تمكنت من بلوغ محطات متقدمة لم تستطع لسانيات الجملة الوصول

اليها ؛ فقد استطاعت تحديد العلاقات التي تربط بين اجزاء الجمل واجزاء النصوص سواء على المستوى النحوي أو المعجمي أو الدلالي .

ونحو النص بوصفه من أبرز المناهج اللسانية ،يتعامل مع النص على أنه بنية متكاملة ،يدرس من خلال هذه البنية الروابط التي تنظم النص وتؤدي الى نصيته ،وذلك بادراك عملية الترابط داخل النص ، وهي عملية ((تتطلب قدرة على النظر الشامل ، وتستلزم دقة في تلمس العلاقات المتشابكة ،وتحتاج الى بصر بأساليب تشكيل الظواهر المشتركة)) [1]وهذا هو المنهج النصي الحديث ،فهو ينظر الى النص باعتباره كلا موحدا مترابط الاجزاء محبوكا ،ولما كان النص المتماسك يعتمد على الروابط ،لذا جاءت هذه الدراسة لتسليط الضوء على احدى الروابط النصية والشكلية في التراث اللغوي العربي وفي الدرس اللغوي الحديث ، وهي (لما) المتعددة الاستعمالات والدلالات ،ولان نحو النص نشأ اساسا لخدمة النص ، لذا جاء النص القرآني موضعا للدراسة ؛لاستيفائه القواعد العامة للبناء اللغوي ،ولاستثماره امكانات اللغة الى اقصى غاية . اقتضى مسار البحث ان تتفرع الدراسة على محاور اهمها التعريف بمصطلح الربط النصي ، وثانيا الروابط النصية ، ولما في الدرس اللغوي ثالثا ،ورابعا الربط بـ (لما) في القصص القرآني .

المطلب الاول : الربط النصي

تدور في معاجم اللغة مصطلحات (الترابط ،الارتباط ، والربط) وكلها مشتقات صرفية من المادة اللغوية (ربط ،يربط) وتأتي بمعنى شد ،فهو مربوط وربيط [2] أي شده ، والرباط ما ربط به .

والارتباط من الافتعال أي اقامة العلاقة القريبة بين شيئين أو اكثر . والترابط هو التفاعل العلاقاتي ،بمعنى قبول وجود كل طرف للآخر او فيه . ومنه معنى التبادل العلائقي . وفي الرباط معنى حدوث محكم ودائم لتلك العلاقة المتوسطة بين الاشياء ومعانيها .

ويأتي معنى الربط في الاصطلاح اللساني -وهو لا يبتعد كثيرا عن معناه اللغوي - بأنه العملية التي تتصل بها جمل النص قصد اقامة علاقة دلالية بينها . وهناك من فرق بين الربط والارتباط ،اذ يقول مصطفى حميدة : ((الارتباط هو نشوء علاقة نحوية سياقية وثيقة بين معنيين دون اللجوء الى واسطة لفظية ،تعلق إحداهما بالآخر ، فهي أشبه بعلاقة الشيء بنفسه، ،واما الربط فهو اصطناع علاقة نحوية سياقية بين معنيين باستعمال واسطة تتمثل في اداة ربط تدل على تلك العلاقة ،او ضمير بارز عائد ، ويكون الربط اما لأمن لبس الانفصال أو لأمن لبس الارتباط أما الانفصال فهو انعدام العلاقة الدلالية والنحوية بين معنيين)) [3].

يعد الترابط النصي من اهم عناصر التحليل اللغوي لأي موضوع يتناول التماسك النصي ،ويبحث في وسائل هذا الترابط ،متناغما مع الترابط الدلالي بمعنى ان التحليل النصي يعتمد أساسا على الترابط في تحقيق النصية ،فالترابط يهتم بالعلاقات بين اجزاء الجمل ،وايضا بالعلاقات بين النص وما يحيط بها ،ومن ثم فان الترابط يحيط بالنص كاملا ،داخليا او خارجيا ، فالترابط هو قوام النص ، اوهو على الاقل شرط أول لكي يكون الكلام الخطاب نصا ،والترابط ذو طبيعة دلالية من ناحية ، وذو طبيعة خطية من ناحية أخرى ، وان الطبيعتين تتضافران معا لتحقيق الترابط الكلي للنص سواء نظرت اليه داخليا ام خارجيا ،فهما عنصران يبرزان كل جوانب الترابط او التماسك النصي ،ولابد من دراسة نسيج النص من خلالهما ليعطي مراده ظاهرا وباطنا ،كلا وجزء ،شكلا ومضمونا .[4]

فضلا عن ان تحليل وفهم النص ،قد اعطى لمفاهيم البنية النصية ابعادا جديدة في النص المترابط ((واصبحنا امام ضرورة الاهتمام بالنص المترابط والبحث فيه والا فانه يستحيل التنظير والتقعيد لهذا النص وانتاجه او تلقيه او قراءة ما يتجاوزه من الدلالة والتأويل)) [5].

يسهم الربط في اتساق النص وتركيبه اللغوي ((وانعاش الذاكرة لاستعادة مذكور سابق بواسطة احدى الوسائل اللفظية التي تعين على الوصول الى هذه الغاية))[6].

وقد عد تمام حسان الربط احد القرائن اللفظية الثمانية التي تتكون منها الجملة العربية فنجده معبرا عنه بقوله : قرينة لفظية تدل على اتصال أحد المترابطين بالآخر ، والمعروف ان الربط ينبغي ان يتم بين الموصول وصلته ،وبين المبتدأ وخبره ، وبين الحال وصاحبه ،وبين المنعوت ونعته ،وبين القسم وجوابه ،وبين الشرط وجوابه ..... [7] .

واذا كان مصطفى حميدة قد قيد العلاقة بالأداة ،فإننا نجد باحث آخر يرى أن الربط ((علاقة نحوية بين أجزاء الجملة أو بين الجمل ، وهذه العلاقة تكون بواسطة لفظية وبدون واسطة لفظية)) [8].

كما اعتبر الدكتور حسام البهنساوي الربط وسيلة من وسائل الاتصال بين مكونات التراكيب اللغوية [9].

والربط النصي هو الذي يكون بين تركيبين مستقلين، أو بين متوالية من الجمل، أو بين الفقرات، أو في مسافات متباعدة من النص.، وتكون وظيفة الأداة الرابطة نصيا: الإشارة إلى وجود علاقة بين الجملة التي تدخل عليها الأداة وجملة تسبقها أو تلحقها. فهي تفترض وجود سياق أو بيئة لغوية تربط الجملة التي تدخل عليها بما سبق، محققة السبك لظاهر النص .

المطلب الثاني : الروابط النصية

من الطبيعي أن ترتبط جمل أي نص –يراد له الفهم الشكلي والمعنوي ـ ويتأتى ذلك من خلال مواصفات معينة للنص، أو قواعد معينة تتآزر لبنائه، ينبغي توافرها في هذا النص كي يعد مقبولا من حيث الكفاية اللغوية. ولا تقتصر هذه الكفاية اللغوية للناطق بلغة ما على تمييز المقبول أو غير المقبول من النصوص على الكلمات أو الجمل أو أشباه الجمل، بل تتجاوز ذلك إلى نطاق النص الشمولي الواسع . و ان النص في ضوء وسائل التماسك النصي كل لايتجزأ، ولا يحكم بنصيته الا في ضوء هذه الكلية؛ ذلك لأن روابط النص وسيلة مهمة من وسائل الحكم بالنصية.

لذا اهتم لسانيو النص بالروابط النصية في اللغة العربية باعتبارها الاساس الاول في علم اللغة النصي ، اذ بواسطتها يتم التوصل الى التماسك الكلي للنص مما يحقق الاتساق العام ، وقد كانت هناك اشارات لعلمائنا الاوائل بموضوع الروابط النصية ،ولعل ابن السراج اول من استعمل الروابط كمصطلح في مصنفه (الاصول في النحو) اذ اشار الى مسألة الربط بالحرف ((اعلم ان الحرف لايخلو من ثمانية مواضع :اما ان يدخل على الاسم مثل : للرجل او الفعل مثل :سوف ،او الربط اسما باسم ،او فعلا باسم او كلام تام ،او ليربط جملة بجملة او يكون زائدا .... اما ربطه الاسم بالاسم فنحو قولك : جاء زيد وعمر، فالواو ربطت عمرا بزيد واما ربطه الفعل بالفعل نحو قولك : قام وقعد وأكل وشرب ،واشار ربطه الاسم بالفعل نحو قولك : مررت بزيد ،ومضيت الى عمرو ،واما ربطه جملة بجملة نحو قولك : ان يقم زيد يقعد عمرو ،وكان اصل الكلام :يقوم زيد ،يقعد عمرو ليس متصلا فيقعد عمرو ولامنه في شيء فلما دخلت (ان) جعلت احدى الجملتين شرطا والاخرى جوابا)) [10]

وهناك اشارة في شرح المفصل لابن يعيش عن وظيفة الرابط النصي ،عند شرحه لوظيفة الحرف بقوله : ((وجملة الامر ان الحرف دخل الكلام على ثلاثة أضرب : لافادة معنى فيما يدخل عليه ،ولتعليق لفظ بلفظ آخر ، ولزيادة ضرب من التأكيد))[11]

وذكر ابن هشام الانصاري في كتابه المغني فصلا بعنوان : 0روابط الجملة بما هي خبر عنه ،وقد عدد فيه الوسائل التي تربط الجملة الفرعية بما قبلها وبعدها [12]

وقد بحث العلماء وظائف الروابط الحرفية والروابط الاسمية والروابط المضمرة ووظائفها النحوية واثرها في تماسك لحمة النص وبحثوا كذلك العلاقات بين الجمل وتشابكها واثر ذلك في التحام اجزاء النص .

وذكر المحدثون من الباحثين في علم اللغة النصي انواع عديدة من الروابط فضلا عن التي ذكرها القدماء في تراثنا النحوي واللغوي . وكان الاختلاف بينهم ان هناك بعض الاضافات من المحدثين لأنواع هذه الروابط ، وتقسيمها الى مجموعات يضمها جامع مشترك اذ نستطيع ان نقول ان البحث في الروابط النصية اصبح اكثر تقنينا ووضوحا من الدرس اللغوي القديم.

يؤكد د. محمد حماسة عبد اللطيف أن الكلام لا يكون مفيدا الا إذا كان مجتمعا بعضه مع بعضه الآخر دون ترابط وتآلف؛ ولذلك فضل القدماء مصطلح (التأليف) على مصطلح (التركيب). وقد أشار إلى بعض الوسائل التي تعمل على ترابط أجزاء الجملة وإحكام بنائها، ومنها: الاعراب، والرتبة....)[13] والجمل المترابطة تسهم كثيرا في الترابط النصي؛ لأنه لايمكن تصور نص متماسك دون ترابط بناء النص.وتماسك أجزائه؛ ولذلك كان بناء الجمل مدخلا أساسيا لتماسك بناء النص .

وقد تحدث تمام حسان بالتفصيل عن قرائن التعليق اللفظية التي تسهم في تماسك النص وترابطه، وهي: العلامة الاعرابية، والرتبة، والصيغة، والمطابقة، والربط، والتضام، والاداة، والنغمة)[14] .

واهتم الزناد في كتابه (نسيج النص) بالروابط الشكلية وعدها العنصر الاهم في تكوين النص وكان احد انواع الربط عنده ،هو الربط بـ (الاداة) وفي الاعم الاغلب يكون بين الجمل ،و ان حضور اداة الربط مشروط بالخلاف بين الجملتين او القطعتين المتصلتين او المتباعدين .

ويرى تمام حسان أن : ((كل اداة داخلة على الجملة لإفادة معنى الجملة فهي رابطة تقوى بها الصلة بين كل المفردات الداخلة في حيزها يصدق ذلك على النفي وعلى الامر باللام والنهي والاستفهام والشرط والقسم والتعجب ...))[15]

والتعليق بالأداة اشهر انواع التعليق في اللغة العربية وهي قرينة لفظية تنقسم الى قسمين [16]:

1 – الاداة الاصلية : وهي حروف المعاني كحروف الجر والنسخ والعطف

2 – الاداة المحولة : وتكون ظرفية (استعمال الظروف في تعليق جمل الاستفهام ،او اسمية (الاسماء المبهمة مثل كيف وكم او فعلية ....

ويرى محمد خطابي في كتابه لسانيات النص ان الروابط تقسم الى قسمين :

روابط احالية : ومهمتها الاحالة في النص : مثل الضمير ،اسم الاشارة ، ال المشبهة بالضمير ،ال العهدية ..... الخ .

روابط لا احالية : مهمتها وصل اجزاء النص ونسج تراكيبه ،وهي كثيرة لا يمكن حصرها بسهولة ؛لأنها تخضع للزيادة كمظهر من مظاهر التطور اللغوي ، ويدخل فيها : ادوات الشرط وجوابه ، ادوات التوكيد ،ادوات القسم ،ادوات النفي ، ....)) وموضوع بحثنا عن احد ادوات الشرط غير الجازمة وعموما ، فان ادوات الشرط ادوات ربط تربط بين جملتي الشرط والجواب لها أثر في الدلالة الزمنية لفعلي الجملة الشرطية ، وهذا الامر يختلف من اداة الى اخرى حسب السياق الوارد فيه الاداة ، وان الاسلوب الشرطي قد برزت فيه مصطلحات دلالية تظافرت جميعها وساهمت في ابراز الدلالة الكلية لهذا الاسلوب وهي :

دلالة التعليق ودلالة الربط ودلالة السببية ، وان للشرط في العربية وظيفة وهي جعل الجملة الثانية معلقة بالجملة الاولى او معلولة بالعلة .

المطلب الثالث : (لما في الدرس النحوي)

تأرجحت (لما) في كتب النحو بين الاسمية والحرفية ، وهذا التأرجح لم يأت اعتباطا وانما بناء لاستعمالاتها في اللغة عموما ، والنص القرآني خصوصا ، ونحن نعرف جيدا أن النحو كعلم نشأ لخدمة لغة القرآن بالدرجة الاساس . وعليه تمخض هذا عن تداول اربعة انواع لـ (لما) في عرف النحويين والمفسرين :

اولا : (لما) الحرف ويندرج تحت هذا المسمى نوعان :

أ - (لمّا) الجازمة

اتفق النحاة على أنها أداة للنفي تختص بالمضارع وهي احدى ادوات الجزم التي تجزم الفعل المضارع وهي بذلك تختلف عن (لما) الظرفية التي تختص بالماضي . و(لما) هذه تشابه (لم) الجازمة ،اذا أشار النحاة إلى أنهما يشتركان في الحرفية والنفي والجزم والقلب للمضي، ابو علي الفارسي يقول : ((وانما هي (لم) دخلت عليها (ما) فتغيرت بدخول (ما)عليها عن حال (لم) ...)) [17]ويؤكد الشيخ خالد الازهري في كتابه التصريح :انها مركبة من (لم) و (ما) [18]

الا انه هناك فروقا بينهما اثبته بعض النحاة والمفسرين ، اذ وجدوا ان (لم) تنفرد بمصاحبة الشرط وبجواز انقطاع نفي منفيها، وعدم استمراره إلى وقت الكلام، فتقول (لم يكن ثم كان)، ولا تقول (لمّا يكن ثم كان)، وتنفرد (لمّا) بجواز حذف مجزومها (قاربت المدينة ولمّا) أي قاربت المدينة ولمّا أدخلها [19] وأنها لاتقترن بأداة شرط أخرى ، فلا تقول ان لما تضرب ، ومن لما تضرب ،عكس لم تقول :ان لم تضرب ،ومن لم تضرب ، ثم يأتي الفرق الأخير الذي كان أول من أشار إليه هو الزمخشري في كشافه، فعند تفسيره لقوله تعالى: ((أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولمّا يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم)) (البقرة : 214) يقول: " ولمّا فيها معنى التوقع وهي في النفي نظيرة (قد) في الإثبات والمعنى أن إتيان ذلك متوقع منتظر [20]

ب - (لمّا) الاستثنائية

هي النوع الثاني من أنواع (لمّا) التي اتفق العلماء على أنها حرف، فهي التي تكون بمعنى (إلا) كقولك (إن ضربك لمّا زيدٌ) أي: إلا زيدٌ ، فإن الشرط فيها أن تشدد الميم من (لمّا)، وإن خففت الميم فيكون هناك اعراب آخر [21]

تدخل (لما) على الجملة الاسمية ،وعلى الفعل الماضي لفظا لا معنى [22] ، ولها موضعان : اما ان تأتي بعد النفي الظاهر او المقدر ،نحو قوله تعالى : ((وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ)).(يس - 32) ،أو بعد القسم ، نحو أنشدك الله لما فعلت [23]

وكان هذا النوع من انواع (لما) موضع خلاف بين النحاة ، اذ انكر بعضهم وجوده في اللغة [24]، وهذا مردود ، لان (لما) بمعنى (الا) حكاها الخليل وسيبويه والكسائي [25] فهي ثابتة في لسان العرب ،لكنها قليلة الاستعمال في كلامهم ، اذ تقتصر على التركيب الذي وردت فيه . والدليل على ذلك انها وردت في القرآن الكريم[26] بهذا المعنى : في قوله تعالى: ((وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ)) (الزخرف :35) وفسرت بأن ((اللام هي الفارقة بين إن المخففة والنافية وقريء بكسر اللام أي: للذي هو متاع الحياة. كقوله تعالى (مثلاً ما بعوضة) ولمّا بالتشديد .(بمعنى إلا وإن نافية وقرئ إلا. وقرئ: وما كل ذلك إلا))[27] اذ ينظر لـِ (لمّا)في سياق هذه الآية بناء على أن هناك قراءتين

متواترتين بتشديد الميم وتخفيفها فيجعلها بمعنى (إلا) في حالة تشديد الميم ويجعلها مركبة في حالة تخفيف الميم .

ثانيا : (لما التعليقية او الحينية) بين الاسمية والحرفية

وتحت هذا القسم تتعدد مسمياتها تبعا لتعدد وظائفها ودلالتها . وان كان مسماها في اغلب مصنفات النحو بـ (لما التعليقية) وهي التي تقتضي جملتين وجدت ثانيتهما عند وجود أولاهما [28]، فتدل على ربط جملة بأخرى ربط السببية[29] ،أي ان وجود ثانيتهما مسبب عن وجود أولاهما . وفيها معنى الشرط ابدا لايفارقها ،ويليها فعل ماض مثبت لفظا ومعنى ،او مضارع منفي بـ (لم) نحو : لما قمت أكرمتك ، ولما جئتني أحسنت اليك ،ولما لم يقم زيد لم يقم عمرو .

(لما التعليقة) هناك خلاف في اسميتها وحرفيتها تبعا لدلالتها ، فهي حرف عند سيبويه لان ليس فيها شيء من خصائص الاسماء ،وثانيا لانها تقابل (لو) ((فهي للأمر الذي وقوعه لوقوع غيره وانما تجيء بمنزلة لو))[30]

وهي ظرف أي اسم عند ابن السراج والفارسي وابن جني والعامل فيها جوابها [31] وتسمى بـ(لما الحينية،)وجمع ابن مالك بين الامرين مفصلا قاعدة يمكن من خلالها التمييز بين الحرفية والاسمية بقوله : ((اذا ولى (لما) فعل ماض لفظا ومعنى فهي ظرف بمعنى (اذ) فيه معنى الشرط أو حرف يقتضي فيما مضى وجوبا لوجوب)) [32]

بينما يقر ابوحيان بحرفية (لما) اذا وقعت اذا الفجائية مقامها اذ ذكر في تفسيره لقوله تعالى : ((فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله)) واذا كانت حرفا وهو الصحيح فجوابه اذا الفجائية واذا كانت ظرفا فيحتاج الى عامل فيه فيعسر ، لأنه لايمكن ان يعمل مابعد (اذا) الفجائية فيما قبلها . ولايمكن ان يعمل في (لما) الفعل الذي يليها ، لأن (لما) هي مضافة الى الجملة بعدها .... والذي نختار مذهب سيبويه في (لما) وانها حرف ونختار ان (اذا) الفجائية ظرف مكان)) [33]

ويرى الزمخشري في كتابه المفصل ان : ((لما في قولك لما جئت بمعنى حين)) [34]وهو يخالف بذلك من أقر بحرفيتها ، وكرر رأيه ذلك عند تفسيره لقوله تعالى : ((ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات)) يقول المفسر ((لما ظرف لأهلكنا))[35] ولا يخفى مافي معنى الظرف من استيعاب للحدث والإحاطة به ، واشتماله على الزمن أكثر من الحرف الذي يكون مجرد اداة ربط لامحل لها من الاعراب .

وإذا ما نظرنا لآراء بعض النحاة المحدثين وجدنا المسألة لا زالت محلَّ نقاش، فنجد صاحب "النحو الوافي" يذهب إلى أن الرأي المشهور فيها أنها " ظرف زمان بمعنى حين [36] ونجد الشيخ مصطفى الغلاييني يدرجها في الظروف على أنها " ظرف للزمان الماضي بمعنى (حين) أو (إذ)، وهي تقتضي جملتين فعلاهما ماضيان، ومحلها النصب على الظرفية.

ولا يخفى ما تحمله هذه اللفظة من دلالة الشرط بالإضافة إلى معنى (حين) (لذلك تسمى الشرطية أو الحينية أو (لمّا) التوقيتية. وهذا النوع من (لما) هو محور بحثنا لان فيها معنى الربط سواء أكانت حرفا أم اسما .

المطلب الرابع : الربط النصي ب (لما)

ابتدأ حديثي عن دور (لما) في ربط النصوص والاحداث في القصص القرآني ، بقول ابن عاشور : (لما) أداة ربط ((تدل على شدة الارتباط بين شرطها وجوابها ، فلذلك يكثر أن يكون علة في حصول جوابها)) [37]ومعنى ذلك أن (لما) توثق الارتباط ـ الزمني أو السببي بين الشرط والجواب على كل حال ،سواء أكانا متصلين أو منفصلين زمنا . ،لان (لما) مشربة معنى الشرط ،بدليل حاجتها الى فعلين :

أحدهما الشرط والثاني الجواب ، غير أن جوابها أحيانا يتحقق فوريا عقب الشرط بلا فاصل ، واحيانا يتأخر زمنا يطول أو يقصر . انطلاقا من هذه الرؤية يتبين لنا أن لما تقوم بالربط سواء أكان الربط سببيا أو زمنيا ، أي اذا كانت اداة شرط غير جازمة أو كانت ظرفا بمعنى حين هي تؤدي هذه الوظيفة . لذا اصبحت (لما) بهذه القوة من الربط ، حتى انها تكررت في اكثر من (140) موضعا في النص القرآني وهي تؤدي هذه الوظيفة . والملاحظ أنها دائماً ترد في سياق القصص القرآني ، اذ اكثر الآيات التي وقفنا عليها كانت في سياق القصص وضرب المثل، وتكون في كثير من الأحيان متتابعة تذكر أكثر من مرة، وهذا كثير في القرآن الكريم بصورة واضحة ومميزة ،هذا ان دل على شيء فإنما يدل على أهمية هذه المفردة في سبك النصوص وربط الاحداث ، دون غيرها من المفردات ، لذا احاول ان أتلمس بعض الاسرار التي تنفرد بها هذه المفردة ، والتي قد تكون متعلقة بطبيعتها ، او أن هناك خصائص تركيبية جعلتها تتحلى بميزة الربط دون غيرها من الادوات .ومنها انها تؤدي :

1 – الربط الشرطي : ويسميه البعض بـ (التعليق الشرطي) : الشرطية من اكثر العلاقات الدلالية التي تربط بين جملتين ،فالشرط : ((تعليق حصول مضمون جملة بحصول مضمون أخرى))[38].

يتحقق الارتباط الشرطي بوجود اركان الشرط وهي : أداة الشرط ،فعل الشرط ،وجواب الشرط . وهي جملة واحدة ولا يتم الكلام الا بالجميع لان الشرط والجزاء عبارة عن جملتين تربط بينهما الاداة . تختلف اداة الشرط في طبيعة ربطها للجملتين اللتين تقرن بينهما ، عن بقية الادوات الرابطة ، فأدوات الربط المختلفة ،تستدعي سابقا تربطه بالجملة التي تلحقها ، اما أداة الشرط ،فالجملتان اللتان تربط بينهما ،كلامها لاحق لها ،بمعنى أن لها الصدارة في العلاقة .وان تقدم الجواب في بعض الاحيان فهو من قبيل الانزياح الاسلوبي [39]. وعليه فأن المعنى الذي تؤديه هذه الأداة المتصدرة للجملة يمثل العلاقة بين أجزاء الجملة ،كما تقوم هذه الأداة بوظيفة الربط بين الجمل التي تدخل عليها و بين الجمل الكائنة فيها لأنها بشتى أنواعها تدل على معنى وظيفي هو معنى الربط السياقي.

وقد ذكر النحاة مجموعة من الادوات التي تفيد الارتباط الشرطي ،بعضها جازم ،وبعضها غير جازم مثل (ان ، لو ،لولا ،لوما ، اذما ، لما ،من ،ايان ،اين ،حيثما ،كيفما ....) وكانت هناك نظرة تقسيمية لتمام حسان للأدوات عامة ومن ضمنها ادوات الشرط (تعين على دقة تقسيم الادوات وفق حقيقة معانيها الدلالية والوظيفية ، فيذكر : ان الاداة تنقسم قسمين : اداة اصلية وهي الحروف ذات المعاني ،واداة محولة وهي التي تكون محولة من أقسام الكلام الاخرى التي قسم الكلم اليها : الاسم ، الصفة ، الفعل ، الضمير ، الخالفة ، الظرف ، الاداة) فوفقا لرأيه تكون الادوات اذا ولما وايان ومتى ادوات محولة من الظرفية الزمانية لتفيد التعليق الشرطي .

اذن (لما) هي اداة شرط غير جازمة تؤدي دور الرابط الشرطي والدليل ان احد المصطلحات التي عرفت بها هو (لما التعليقية) ، لانها تقتضي جملتين وجدت ثانيتهما عند وجود الاولى ،نحو : لما زارني اكرمته [40] فالعلاقة السببية يمكن تصنيفها وفق ترتيب القضايا، إلى نتيجة وعلة وغاية، حيث تكون القضية التالية نتيجة للأولى ، أو علة لها، أو غاية لها. وتستخدم الأدوات السببية، للربط بين القضايا داخليا وخارجيا ،فتأتي الجملتان متحدين لتكونا بوحدة نصية ذات معنى، حققه "الجرجاني" عندما قال: و يظهر من هذا الكلام أن أداة الشرط تأتي للربط بين جزئي الكلام فتنشأ علاقة سببية بين جملتي الشرط والجواب .

وهذا ما أكده "ابن الحاجب" بقوله:. إن حرف الشرط هو كل حرف دخل على جملتين فعليتين فجعل الأولى سببا للثانية العلاقة القائمة بين الشرط وجوابه هي علاقة السبب والنتيجة ، وهذه العلاقة واضحة البيان بالتعريفات الاصطلاحية

فالربط هو الأساس في تركيب الشرط بين جملتي الجزاء "الشرط والجواب" حيث قال ابن يعيش: " إن هذه الأدوات تدخل على جملتين فتربط إحداهما بالأخرى وتصيرهما كالجملة الواحدة."

ومنه قوله تعالى : ((وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا)) سورة الكهف (59) والمراد انهم اهلكوا بسبب ظلمهم ، لا أنهم اهلكوا حين ظلمهم ، لان ظلمهم متقدم على انذارهم ، وانذارهم متقدم على اهلاكهم [41] فضلا عن اشعارها بالتعليل ،والظروف لاتشعر بالتعليل . فقد ادت (لما) الربط بين الاهلاك والظلم بعلاقة السببية

ومن معاني السببية التي تظهر عند الربط ب لما، فهي تعلق ما قبلها بما بعدها بوصفه سببا فيه

ومثاله قوله تعالى:((فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا))(يوسف: 96)، أحداث تقع فينتج عنها أحداث أخرى بسببها. فالترك تسبب في أكل الذئب يوسف، وإلقاء القميص تسبب في ارتداد البصر. وهذه الأسباب قد تكون أسبابا مباشرة أو غير مباشرة، فارتداد البصر مثلا ليس نتيجة مباشرة لإلقاء القميص، بل لالتصاق القميص على وجه يعقوب، وتأثير ما في القميص بأمر من الله تبارك وتعالى في عيني يعقوب مما رد إليه بصره .

فالاقتران بين جملة الشرط وجوابه سببه أداة الشرط، فأداة الشرط هي التي تعطي للعلاقة بين فعل الشرط وجوابه معنى الشرطية، وهي التي توفر هذا الاقتران، ظاهرة كانت أم مقدرة، لأنها تفيد وظيفة التعليق بين شرطها وجوابها[42]

ومنه ايضا قوله تعالى : ((فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم)) سورة البقرة : 246

2 _ الربط الزمني : قد تكون العلاقة الرابطة بين القضايا والاحداث في النص علاقة زمنية متمثلة في التتابع الزمني لهذه الاحداث واقعيا ، و(لما) من الادوات التي تقرن حدثين او اكثر وفق ترتيب حصولها ،لانها في بعض السياقات التي ترد فيها هي محولة من الشرط الى الظرفية ، لذلك أطلق عليها لما الحينية في اغلب استعمالاتها . وهذه قاعدة اقرها تمام حسان بأن الظروف هي واحدة من الروابط المهمة . اذن كيف يتم الربط بالظرف ؟

الظرف في النحو هو كل كلمة تفيد معنى الوعاء للحدث حرفا كانت أو اسما فيذكر لاجل أمر وقع فيه ، اسم زمان مطلقا أو مكان مبهم)) [43]

فالظروف لها وظيفة تركيبية للكلمة بحسب موقعها في الجملة بمعنى ان الاسم اذا جاء في التركيب ليفيد وظيفة الظرف فهو ظرف ،فكلمة (ليل) هي اسم زمان يمكن أن يأتي في الجملة في موضع الظرف للفعل اذا جاءت منصوبة واحتملت معنى الوعاء للحدث ليلا وهذا التصنيف يجعل معنى الظرفية عاما ،حيث ان الكلمات التي تصلح ان تكون ظروفا زمنية او مكانية كثيرة في اللغة العربية .

لكن تمام حسان له توجه آخر فهو يعد الظرف قسما من اقسام صيغ مباني الكلام وهي : (الاسم، الفعل ، الصفة ، الضمير ، الظرف ، الخالفة ، الاداة) فالظرف صيغة مبنى ميزها بأنها مبان تقع في نطاق المبنيات المتصرفة ،فتصل بأقرب الوشائج بالضمائر والادوات وظروف الزمان مبان محددة : (اذ ، اذا ،اذاً ،لما ، أيان)

لذا اصبح لـ (لما) مبنى خاص مهما كانت وظيفتها التركيبية في السياق . لان الزمن في الظرف يختلف عن الزمن في بقية اقسام الكلام اذ هو كناية عن زمان اقتران حدثين .

والفرق بين الربط الشرطي والربط الزمني ان ((الشرط يقرن حصول مضمون جملة بحصول مضمون جملة أخرى)) أي انه ارتباط بين وقائع ربما لم تقع وتكون احداهما جزاء للأخرى والعلاقة بينهما ارتباط بمضمون الحدث . بينما الربط الزمني بوساطة أدوات الظرف تكون العلاقة التي تربط الحدث الاول بالحدث الثاني هي علاقة زمنية تجمعهما ،لان ظرف الزمان كناية عن زمان اقتران الحدثين ،بحيث تجعل زمن الحدث الذي يليها مباشرة وعاء للحدث الثاني (يسبقها او يلحقها حسب موقعها في الجملة) فيقترن الحدثان زمنيا ،فالظرف بطبيعته يستوعب الحدث ويحيط به ، ويشتمل على الزمن أكثر

من الحرف الذي يكون مجرد أداة ربط لا محل له من الإعراب . والربط الزمني بـ (لما) ربما يفوق الربط الشرطي .

وقد جاءت لما رابطة في سورة يوسف في عدد كبير من الآيات، تفيد فيه ربطا تسلسليا للأحداث، كقوله تعالى: ((فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَه قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّه مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيم)) (يوسف: 28) وكقوله تعالى: (فَلَمَّا رَأَيْنَه أَكْبَرْنَه وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ] (يوسف: 31)، (فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ) (يوسف: 50).

اذ قرنت لما (بين حدثين زمنيا، فاتصل مثلا زمن رؤية العزيز للدليل بزمن قالته، والاتصال بين الحدثين يمكن أن يميز – - نقطة التقاء الزمن الأول بالثاني، وهي نقطة انتهاء الحدث الأول زمنيا، وقد لا يمكن تحديد ما إذا كان زمن الحدث الأول انتهى مع ابتداء زمن الحدث الثاني، أم استمر فيه، لأن زمن الحدث الذي يلي لما وعاء لجوابها، بحيث لا يمكن تحديد متى بدأ الحدث الثاني تماما، لأنه داخل في الزمن الأقدم. ومثاله في قوله تعالى:)فَلَمَّا رَأَيْنَه أَكْبَرْنَه ( ]يوسف: 31 [فزمن الرؤية وعاء لزمن الإكبار، فيكون الإكبار وقع في وقت الرؤية، بعد ابتداء الرؤية، ولا يمكن الجزم بانتهاء زمن الرؤية مع بداية زمن الإكبار.

ومما تنماز به (لما) انها تربط احداثا ماضية منتهية أو مستمرة من جهة الزمن

ومنه قوله تعالى : ((أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم)) ال عمران : 16: (اصابتكم مصيبة) يريد ما أصابهم يوم أحد من قتل سبعين منهم (قد أصبتم مثليها) يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين)[44] فوظيفة (لما) هنا قامت بدور الرابط الزمني بين احداث سابقة وهي معركة بدر وماحدث فيها من انتصار وغلبة للمسلمين وانزالهم المصائب بالخصم من الكافرين ، والذي حدث لهم في يوم أحد من الهزيمة وما لحق بهم من الخسائر . فكأنما (لما) هنا ربطت بين الحدثين لغرض التذكير أومن باب المواساة والتأسي بأن الحرب شأنها أنها يوم لك ويوم عليك .

وقد جاءت (لما) رابطة في قصة ابراهيم ،تفيد ربطا تسلسليا للاحداث في قوله تعالى : ((وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ (75) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ (76) فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ (77) فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (78))) الانعام (75 – 78)

هذا التسلسل الزمني الذي حاول فيه ابراهيم الاهتداء الى رب السموات والارض وطرائق الوصول اليه من خلال التفكر بما في هذا الكون من أشياء يمكن ان تلفت النظر الى التفكر بها علك تهتدي الى من خلق هذا الكون ،ولايمكن ان يكون هذا التفكير في ليلة واحدة من بداية غروبها الى شروق الشمس ، فلابد من وجود فترة زمنية ليست بالقصيرة جدا حتى اهتدى ابراهيم (عليه السلام) الى ضالته المنشودة بأمر الله وهنا يأتي دور الرابط النصي (لما)الذي جمع كل هذه المواقف ووحدها وجعلها لوحة متكاملة غير منفكة ومتسقة اتساقا مبهرا وهذا ماساق الى تكرارها اكثر من مرة .

3 - الربط بحذف جواب لما

يكثر في تركيب جملة (لما) حذف جوابها ،الذي لابد ان يكون متأخرا عنها ؛لانها من ادوات التعليق التي يجب ان لا يتقدم عليها جوابها في عرف النحاة والمختصين بالتراكيب . الا انها لو كانت بمعنى الحين او بصيغة مبنى الظرف سنجد ان هذه القاعدة تختل والدليل على ذلك ان هناك نصوصا كثيرة في القران الكريم بدت واضحة ان جواب لما محذوف أو متقدم عليها ، او يتعارض مع القاعدة النحوية

المخصصة لها . لذا لجأ كثير من المفسرين والمهتمين بالدرس القرآني الى تقدير أو تأويل مناسب يتلاءم مع المعنى العام للآية او السورة . وربما يكون الحذف في سياق جملة (لما) له اهمية في سبك النص واتساقه ؛لان الحذف يسهم في الاتساق بين الجمل المشكلة للنص - وهذا مأكده علم لغة النص الحديث - وذلك عندما تشتمل عملية فهم النص على امكانية ادراك الانقطاع على مستوى سطح النص حيث نفترض عنصرا سابقا يعد عنصرا للمعلومة المفقودة فيترك العنصر المحذوف فجوة غلى مستوى البنية التركيبية يمكن ملؤها من مكان آخر في النص . ومنه قوله تعالى في سياق قصة يوسف (عليه السلام) : ((فلما ذهبوا واجمعوا ان يجعلوه في غيابت الجب وأوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لايشعرون)) سورة يوسف (15)

وردت هذه الاية عقيب الحوار الذي دار بين اخوة يوسف وبين ابيهم يعقوب عليه السلام وفور الانتهاء الى موافقة ابيهم على خروجهم بيوسف (عليه السلام) وان كانت موافقة على مضض ؛ فالآية تفريغ حكاية الذهاب به والعزم على القائه في الجب على حكاية المحاورة بين يعقوب عليه السلام وبنيه يؤذن بجمل محذوفة فيها ذكر انهم ألحوا على يعقوب حتى اقنعوه فأذن ليوسف بالخروج معهم [45]. فسياق القصة يشعر بمدى محبة نبي الله يعقوب لابنه يوسف ، وهذا مؤشر عن حجم الالحاح وكثرة الوسائل الاقناعية التي اتبعها اخوته لكي يقنعوا اباهم بالخروج فكأنما (لما) اختزلت كل هذه الاحداث واصبحت رابطا زمنيا بين ماتقدم وتأخر . فهي حلقة الوصل بين المحذوف والمذكور فيما بعدها .واتساقا مع توتر السياق وحرص اخوة يوسف على سرعة التنفيذ – وقد ظفروا بالموافقة وآتتهم الفرصة – طوي جواب لما فلم يذكر .

والملاحظ في قصص القرآن الكريم أن أزمنة الماضي والحاضر والمستقبل شواهد قائمة على تضافر أشكال تقديم الزمن في رسم البيئة الزمنية، فالعودة إلى زمن ماض بغية استرجاع حدث واقع في الزمن الماضي تتم عبر ربط الحاضر بهذا الحدث من خلال روابط مختلفة ،مما يجعل التنقل بين الزمنين انسيابياً سلساً لا مفاجأة فيه، ولا كسر لألفة السرد، اذ نجد استباقا داخليا في هذه الآية والمقصود به يخرج عن زمن السرد الحاضر، ولكنه ينتمي إلى زمن الحكاية. فزمن السرد هو زمن وجود يوسف عليه السلام في الجبّ، والزمن الاستباقي هو الإشارة إلى أن يوسف عليه السلام سيخبرهم بما فعلوه به ذات يوم، وهذا الحدث ينتمي إلى زمن الحكاية ولا يخرج عنه

وفي قوله تعالى: ((فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (103) وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (104) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)) الصافات :(103-105) يقول الزمخشري: فإن قلت: أين جواب لمّا ؟ قلت: هو محذوف تقديره فلمّا أسلما وتله للجبين (وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا) كان ما كان مما تنطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما واغتباطهما، وحمدهما لله وشكرهما على ما أنعم به عليهما، من دفع البلاء العظيم بعد حلوله، وما اكتسبا في تضاعيفه بتوطين الأنفس عليه من الثواب والأعواض . ورضوان الله الذي ليس وراءه مطلوب [46].

فقد أدى الحذف هنا إلى إشعال قريحة السامع، واستنهاض فكره إلى التفكر بحال ابراهيم وابنه إسماعيل، فما الذي سيقولانه إذا أنجاهما الله من هذا الامتحان الصعب ؟ فالسؤال عن جواب (لمّا) هو سؤال نحوي مهتم بالتراكيب والقواعد النحوية التي تقتضي جواباً لِـ (لمّا)، والإجابة كانت بحذفه مقدرةً من عالم بالمعاني ومواطن جمالياتها .

وقوله تعالى : ((فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر)) سورة البقرة 259

قال في البحر : ((والجملة قبلها محذوف تقديره فجاءهم التابوت وأقروا له بالملك وتأهبوا للخروج فلما فصل طالوت)) [47]

وقوله تعالى: ((مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ)) البقرة/ 17 يقول الزمخشري: " فإن قلت أين جواب لمّا ؟ قلت فيه وجهان: أحدهما أن جوابه (ذهب الله بنورهم) . والثاني: أنه محذوف كما حذف في قوله تعالى:

(فلمّا ذهبوا به) وإنما جاز حذفه لاستطالة الكلام مع أمن الإلباس للدال عليه، وكان الحذف أولى من الإثبات، لما فيه من الوجازة، مع الإعراب عن الصفة التي حصل عليها

المستوقد بما هو أبلغ من اللفظ في أداء المعنى، كأنه قيل: فلمّا أضاءت ما حوله خمدت فبقوا خابطين في ظلام، متحيرين متحسرين على فوت الضوء خائبين بعد الكدح في إحياء النار[48]

فالزمخشري هنا يتوقف متأملاً النص القرآني م ا روحاً بين الإثبات والحذف لجواب (لمّا)، إلا أنه يقدم الحذف، لما فيه من الوجازة، والتعبير عن صفة المستوقد بما هو أبلغ من اللفظ تاركاً للقا رئ تقدير حاله بعد تأمل مصيره. ثم يتابع الزمخشري مفترضاً أنه سيُسأل عن موضع (ذهب الله بنورهم) بماذا ستتعلق أو ما مكانها من الإع ا رب إن قدر الجواب محذوف اً، يقول: " فإن قلت: فإذا قدر الجواب محذوفاً فبم يتعلق (ذهب الله بنورهم) قلت: يكون كلاماً مستأنفاً . كأنهم لمّا شبهت حالهم بحال المستوقد الذي طفأت ناره، اعترض سائل فقال: ما بالهم قد أشبهت حالهم حال هذا المستوقد ؟ .(فقيل له: ذهب الله بنورهم) فالزمخشري هنا، لم يكتف بتبيين لطائف الحذف بل كذلك حالُ الجمل إذا قدر لِ (لمّا) جواباً محذوفاً، فيذهب إلى أن قوله (ذهب الله بنورهم) كلام مستأنف لمتسائل كان هذا جوابه، فأدى هذا معانيَ بلاغية عظيمة تجعل القرآن غاية في الإعجاز

وقد أشار الزمخشري إلى حذف الجواب، وعمل على تقديره عند قوله تعالى: (ولمّا جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلمّا جاءهم ماع رفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) (31) {البقرة : 89)

(إذ يقول: " جواب (لمّا) محذوف وهو نحو " كذبوا به " و" استهانوا به " وما أشبه ذلك [49]فهو يفتح المجال للسامع أن يتخيل حال هؤلاء الكفار المكذبين وردهم واستهانتهم بكتاب الله (التو ا رة)، فعدم التصريح بهذا الجواب أبلغ من ذكره فنستطيع أن نلاحظ مما تقدم أن هذه المواضع التي قدر فيها جواباً لِ (لمّا) هي بالفعل بحاجة إلى تقدير جواب محذوف إذ لا يستقيم السياق إلا بتقديره

قوله تعالى : ((فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون)) الزخرف 50 قال ابوحيان : ((وفي الكلام حذف أي فدعا موسى ، فكشف فلما كشفنا))[50]

((فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط)) سورة هود 74 ووضحت لما الزمن الذي تكلم فيه سيدنا ابراهيم (عليه السلام) وناقش بعد ان ذهب عنه الروع

4 - تكرار لما

قوله تعالى : ((ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين)) البقرة 89

يتمثل التكرار في عبارة (لما جاءهم) ((ولو نظرنا الى الكلمة التي تسبق تكرار المطلع والكلمة الاخرى التي تأتي بعدها لوجدناهما ايضا مكررتين على صورة (كفروا) و (كفروا به) ولو لم تنفصل احدى الكلمتين عن الاخرى بواسطة التكرار لبدت ثانية الكلمتين كأنها توكيد لفظي لاختها وليست جوابا للاداة الظرفية الزمانية (لما) وبذلك يتغير المعنى ويحدث اللبس))[51]

وهكذا جاء التكرار ليقرب المسافة بين لما وجوابها بعد تباعدهما فمن يقرأ لما جاءهم الثانية لابد له من الرجوع الى الاولى المرجع وبهذا الرجوع تكون الاحالة ويكون التماسك بين اجزاء النص

ومثاله ما جاء في الحديث عن خلق آدم وزوجه من نفس واحدة، قال تعالى: (هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلمّا تغشّاها حملت حملاً خفيفاً فمرت به فلمّا أثقلت دعوَا الله ربهما لئن ءاتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين*فلمّا ءاتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما ءاتاهما فتعالى الله عمّا يشركون) لقوله تعالى: (أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وءاثارا في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون*فلمّا جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون*فلمّا رأوا بأسنا قالوا ءامنا بالله وحده وكفرنا بما كنّا به مشركين*فلم يك ينفعهم إيمانهم لمّا رأوا بأسنا سنت الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون) ({غافر : 82 85)

يقول الزمخشري: " فإن قلت: كيف ترادفت هذه الفاءات ؟ قلت: أما قوله تعالى (فما أغنى عنهم) فهو نتيجة قوله (كانوا أكثر منهم) وأما قوله (فلمّا جاءتهم رسلهم بالبينات) فجارٍ مجرى البيان والتفسير لقوله تعالى (فما أغنى عنهم) كقولك: رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن

إلى الفقراء. وقوله (فلمّا أ روا بأسنا) تابع لقوله (فلمّا جاءتهم) كأنه قال: فكفروا فلمّا أ روا بأسنا آمنوا وكذلك (فلم يك ينفعهم إيمانهم) تابع لإيمانهم لمّا أ روا بأس الله [52]،من هنا، نستطيع تلمس ما تؤديه هذه اللفظة من ربط للنتائج بمسبباتها، وتسلسل الأحداث لتكون أكثر منطقية ومطابقة لأحداثها سواء في هذه الآيات، أو الآيات السابقة لها.

5 - دمج (لما) مع غيرها من الادوات :

ان تركيب أداتين دلاليتين معا لا يعني اندماج معناهما بحيث يختفي أحد المعنيين في مقابل الآخر، بل دلالة اندماجهما تعتمد على طرفي العلاقة التي تربط بينهما كل أداة . في الأداة المركبة فقد يكون طرفا العلاقة على الاشتراك بين الأداتين، فيكون المعنى الدلالي للعلاقة مركبا من المعنيين معا ، وقد تكرر في القصص القرآني ورود اقتران لما مع حروف العطف حتى شكل ظاهرة لافتة ومميزة ،اذ كثر تركيب (ولما) و (فلما) .

((فلما سمعت بمكرهن ارسلت اليهن واعتدت لهن متكئا وءاتت كل واحدة منهن سكينا ..))

لاشك ان ترامي خطيئة المرأة الى اسماع النسوة وتناقلتهن اياها على وجه المكر قد استثار غضبها فاستفزها سريعا الى تلك الحيلة فجاءت الفاء متآزرة مع لما مفصحة عن تلك السرعة مترجمة عن ذلك الغضب أبين ترجمة

فعبر بـ (لما) لماتضفيه سرعة وقوع الجواب عقيب وقوع الشرط بلا تفكير ،بل كأنه متصل به او مرافق له في واقع الحال ، وكأن هذه الايحاءات لـ (لما) لم تف بالكشف عن اظهار سرعة المرأة وحرصها على تنفيذ خطتها واسكات النسوة حتى اقترنت بها (الفاء) لتتمم ذلك البيان ، وهنا يتضح جليا ان غرض الفاء المقترنة ب(لما) يتوجه الى التركيز على طي الواقع بين الشرط والجواب بحيث يكون الوقت صفرا ، وهكذا نجد الفاء بمثابة التوكيد المعنوي ،اذ ان كلا منهما تسعى نحو الهدف ذاته ، فتتآزران عن الابانة عن لحاق الجواب بالشرط بلا فاصل زمني البتة ـ بغض النظر عن التعرض لزمن مابين الشرط وماسبقه من تناقلهن وتلقيهن الخبر

وجاءت لما في هذه الآية في مطلعها لتكشف تسارع الاحداث وفي وسط الاية لتكشف عن انعدام الوقت بين رؤيتهن يوسف واعظامهن له وتقطيعهن ايديهن أثرا لحسنه وجماله عليهن .

انعدام الوقت بين الشرط والجواب هو ماحقق المفاجأة المقصودة للسياق ب الفاء دون الواو مع لما وقد تنبه صاحب التفسير الوسيط الى ذلك حيث يقول : ((وقد كان لهذه المفاجأة من يوسف لهن وهن مشغولات بما يقطعنه ويأكلنه أثرها الشديد في نفوسهن)) [53]

((وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فسئله مابال النسوة التي قطعن ايديهن ان ربي بكيدهن عليم))

من الاشارات الجلية في السياق المباشر للاداة (لما) هنا بيان ان تلك اللحظة لحظة الخلاص والفرج) كانت مرتقبة من يوسف بشغف كبير (فلما جاءه الرسول قال ارجع) فحققت (لما) اقتران لحظة وقوع الجواب (ارجع الى ربك) بلحظة حصول الشرط (جاءه الرسول) ولايكون عادة وعقلا الا مثل ذلك من السرعة وطي الزمن ؛ فقد لبث عليه السلام في السجن بضع سنيين يعاني من صنوف المعاناة مايعانيه السجين والادهى عليه ان سجنه المتطاول ذلك ماكان الا ظلما كابده ، فأتت (لما) لتصور ذلك الاقتران بطي الزمن بين الجواب والشرط . لان الفاء تتآزر مع لما في الافصاح بقوة عن اللهفة النفسية التي تحقق الغاية المنتظرة من ذلك الخلاص ،كما تلمح الى تلاحق الحدث اللاحق لها على السابق عليها ((ولما بلغ اشده اتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين)) تلحظ هنا ان (لما) تنقلنا بمؤازرة الواو الاستئنافية من حقبة زمنية هادئة رخية الى حدث جميل هادىء طيب فلا غصاصة ولاغضاضة في أي منهما، وبالتالي لم يؤثر النظم الكريم (الفاء) التي تعودنا معها على التقلب بين احداث جسام يكون مكرها شديدا ووطؤها ضاغطا على يوسف . هنا تأتي الواو خادمة في البيان عن تراخي عنصر الزمن وتطاوله في الحقبتين جميعا وفي التحول من السابقة منها الى اللاحقة : حقبة الطفولة الى الشباب واستقرار يوسف (عليه السلام) على رأس القوة والفتوة (بلغ أشده) وحقبة التكليف بالرسالة ((اتيناه حكما وعلما)) مع اعتبار تطاول الاولى اكثر من الثانية عقلا وعادة ومنطقا .

ولما كان الجمع بين ثم القائلة صراحة بالتراخي – وبين لما الحينية ـ القائلة صراحة باتصال مباشر لحدثين معبر عنهما بلا مهلة ((بجملتين وجدت ثانيتهما عند وجود اولاهما)) [54]

لما كان ذلك الجمع غير منسجم كانت (الواو) هي البديل المتاح والعوض المسموح لـ (ثم) في تصوير عنصر الزمن الرخي لتلك الاحداث المتباطئة ؛ فقامت الواو مقام (ثم) وان لم يقصد الى الالماح الى ذلك لاطردت الفاء في المواضع كلها

وكان اقتران الواو هنا بـ (لما) الماحا الى تطاول الفترة السابقة على حدثي الشرط والجواب كليهما وتصويرا لبلوغه اشده على مهل وروية وهدوء لاتوتر فيه ولامنغصات .

الخاتمة

تعد مفردة (لما) من المفردات المتنوعة من ناحية التركيب والدلالة ، اذ ان الخلاف بين اسميتها وحرفيتها أعطى لها مجالا أوسع في الاستعمال نشأ عنه بالتالي دلالات مختلفة تتبع للسياق .

اتفق اغلب دارسي النص ان هناك ادوات كثيرة تؤدي وظيفة الربط على المستوى التركيبي والنصي على حد سواء

اثبت البحث ان للظروف عامة وللظرف (لما) خاصة دورا في اقتران الجمل والنصوص ترابطا زمنيا .

تمتع لما بأكثر من خاصية تركيبية جعل لها حظا أوفر في الاستعمال القرآني وخاصة في القصة القرآنية .

هوامش البحث:

[1] الظواهر اللغوية في التراث النحوي ، ابو المكارم:1 / 325.

(2) ينظر :القاموس المحيط ،الفيروزآبادي،مادة ربط .
(3) نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية ، مصطفى حميدة: 203 .
(4) ينظر : أثر الترابط النصي في فهم الدلالة ،سورة الاعراف نموذجا :27
(5) من النص الى النص المترابط مدخل الى جماليات الابداع التفاعلي ، سعيد يقطين :187 .
(6) البيان في روائع القرآن ، تمام حسان : 1 / 109 .
(7) اللغة العربية معناها ومبناها ،تمام حسان : 213 .
(8) نظام الربط في النص العربي ، جمعة عوض الخباص : 2 .
(9) ينظر : قواعد الربط وأنظمته في العربية ونظريات الربط اللغوية الحديثة ،9 .
(10) الاصول في النحو ،ابن السراج ،تح : عبد الحسين الفتلي :23.
(11) شرح المفصل ،ابن يعيش : 4 / 450
(12) ينظر : مغني اللبيب عن كتب الاعاريب ، ابن هشام الانصاري : 5 / 577 .
(13) بناء الجملة العربية ، محمد حماسة عبد اللطيف :74 .
(14) اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان :205
(15) المصدر نفسه : 125
(16) الخلاصة النحوية : تمام حسان : 70.
(17) ينظر : الايضاح العضدي : 328 .
(18) التصريح : 2 / 247
(19) ينظر أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام الأنصاري :4 / 146 .
(20) الكشاف، الزمخشري : 1/ 253
(21) ينظر رصف المباني في شرح حروف المعاني ، المالقي :352.
(22) ينظر: مغني اللبيب : 1 / 310 .
(23) ينظر : شرح التسهيل : 3 / 101 .
(24) ومنهم الفراء ،ينظر رأيه : معاني القرآن : 29/2 ، وابو عبيد ،ينظر رأيه : الدر المصون :4 / 140 .
(25) ينظر : الجنى الداني :594
(26) ومنه سورة هود :111 ،يس :32 ، الزخرف 35 ، الطارق 4 .
(27) الكشاف، الزمخشري :4 / 243.
(28) ينظر :مغني اللبيب :1 / 309
(29) ينظر : ارتشاف الضرب : 4 / 1896 .
(30) كتاب سيبويه 2 / 312 .
(31) (الخصائص : 3 /222
(32) التسهيل : 241
(33) البحر المحيط : 3 / 297
(34) المفصل ،الزمخشري :173 .
(35)
(36) النحو الوافي، عباس حسن: 2/ 296.
(37) التحرير والتنوير : 9 / 91.
(38) الحدود ،الفاكهي : 275
(39) حسان 2004
(40) الجنى الداني في حروف المعاني ، المرادي 592 .
(41) ينظر الجنى الداني :595
(42) . حسان، 2004
(43) الحدود :218
(44) تفسير الكشاف 1 / 427
(45) التحرير والتنوير 12 / 233
(46) الكشاف ، الزمخشري، 4 /56

(47) البحر المحيط 2 /585
(48) تفسير الكشاف :1 /50
(49) الكشاف ، الزمخشري:1 /32

(50) البحر المحيط 9 / 381
(51) الاحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني ، أنس بن محمود فجال: 587
(52) (الكشاف ، الزمخشري: ،4 /178
(53) التفسير الوسيط للقران الكريم ،محمد سيد طنطاوي: 7 / 253 .
(54) مغني اللبيب عن كتب الاعاريب 1 / 369

المصادر والمراجع :

اولا: القرآن الكريم

ثانيا : الكتب

*الاحالة وأثرها في تماسك النص في القصص القرآني ، أنس بن محمود فجال ، اصدارات نادي الاحساء الادبي ، 1434 – 2013

* الاصول في النحو ،ابن السراج ،تح : عبد الحسين الفتلي ،مؤسسة الرسالة ،بيروت – لبنان ،ط3 ، 1996 .

*اعراب القران الكريم وبيانه : محيي الدين الدرويش، دار اليمامة . ، بيروت، ط 7، 1999-

*أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام الأنصاري ت(761)، ط 1 ،1998.

*البحر المحيط تفسير البحر المحيط : أبو حيّان الأندلسي (745 ه)، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط1 ،1993 .

*بناء الجملة العربية، د. محمد حماسة عبد اللطيف ،القاهرة، دار الشروق1416 هـ - 1996م

*البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني ، تمام حسان ،القاهرة 1993

*التحرير والتنوير ،الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ـ تونس 1984 .

* شرح التسهيل لابن مالك. تحقيق: عبدالرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون ،هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، مصر1990

* التفسير الوسيط للقران الكريم ،محمد سيد طنطاوي ط1 دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع الفجالة القاهرة 1998

* الجنى الداني في حروف المعاني المرادي، الحسن بن قاسم تحقيق: فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل بيروت: دار الكتب العلمية ط 2

* الخلاصة النحوية : تمام حسان عالم الكتب للنشر والتوزيع ط1 2000:

*الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، السمين الحلبي، أحمد بن يوسف تحقيق: أحمد محمد الخراط دمشق: دار القلم . 1986

* رصف المباني في شرح حروف المعاني المالقي ،.(1985)

* شرح كتاب الحدود في النحو ،الفاكهي، عبدالله بن أحمد ، تحقيق: المتولي رمضان أحمد الدميري القاهرة،مكتبة وهبة، 1988.

* شرح المفصل للزمخشري : ابن يعيش، وضعه وقدم له : إميل بديع يعقوب، منشورا ت"محمد بيضون" دار الكتب العلمية، بيروت.

* الظواهر اللغوية في التراث النحوي ، ابو المكارم ، ط1 ،القاهرة ، 1968 ، :1 / 325.

* القاموس المحيط ،الفيروزآبادي،تقديم وتعليق الشيخ ابو الوفا نصر الهوريني المصري الشافعي ،دار الكتب العلمية ،بيروت – لبنان ،ط1 ، 2004

* قواعد الربط وأنظمته في العربية ونظريات الربط اللغوية الحديثة ،مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ،مصر ،ط1 ،2008 .

* الكتاب، سيبويه، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ،ط3(1988)

* الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : رتبه ووضعه محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1995

*لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب خطابي، محمد ،ط 1 ،الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي 1991

* اللغة العربية معناها ومبناها ،تمام حسان ،دار الثقافة ،الدار البيضاء ، المغرب ،1994 .

* مغني اللبيب عن كتب الاعاريب ، ابن هشام الانصاري ،تحقيق مازن المبارك وغيره، منشورات سيد الشهداء

* المفصّل في صنعة الاعراب : أبو القاسم الزمخشري، دار الجيل، بيروت، ط2

* من النص الى النص المترابط مدخل الى جماليات الابداع التفاعلي ، سعيد يقطين ، المركز الثقافي العربي ، بيروت – لبنان ، الدار البيضاء ، المغرب ،ط1 ، 2000.

* نظام الربط في النص العربي ، جمعة عوض الخباص ،دار كنوز المعرفة العلمية ،عمان ، الاردن ،ط1 1428 هـ ، 2008 م

* النحو الوافي، عباس حسن ، دار المعارف ،مصر ،ط4 .